ملخص المحاضرتين11+12 : الفينومينولوجيا

11/ فينومينولوجيا هوسرل

تعرف الفينومينولوجيا على أنها علم الظواهر أو الظاهراتية كمصطلح لغوي، وهي الأشياء، أو الحوادث التي تتبدى خالصة للحواس كما هي وتكون موضوعاً للإدراك، وأساساً للمعرفة العامة. والفينومينولوجيا عند هوسرل هي علم البدايات الصحيحة الذي تقوم عليه كل شروط المعرفة الممكنة والعلوم، والبداية تتحدد في الشعور الخالص مجرداً من التفسيرات ومستبطناً ماهياته.

ومثلما أراد هوسرل أن ينأى بالفلسفة عن صراعها المذهبي بين المثالية والواقعية، حيث جعل الفينومينولوجيا منهجاً للعلم الكلي منهجا وصفيا متعاليا، يرد العالم الخارجي إلى الذات؛ ليكشف بداخلها عما هو معطى مباشرة، ويدرك في كافة الماهيات الممكنة للشعور.

لذا تقوم الفينومينولوجيا عند هوسرل على ثلاث دعامات رئيسة وهي:_الماهيات وتعليق الحكم والأنا المتعالي .

أخذ هوسرل فكرة الماهيات المجردة من أفلاطون، لكنه رفض فكرة الصورة والشيء المحسوس، واعتبر أن الماهية تكمن في الإدراك المباشر للشيء وفي العقل، حيث الظاهرة هي الماهية، والماهيات هنا هي الحقائق الموضوعية للأشياء طالما كانت متميزة عن طابعها الحسي. والمشكلة الأساسية كانت بالنسبة لهوسرل هي في تفسير كيفية الوعي بهذه الحقائق وظهورها فيه باعتبارها قصديات ماهوية.

ثم استخدم هوسرل مبدأ الشك الديكارتي في مسألة تعليق الحكم (الايبوخية)، حيث تأثر بمنهجية ديكارت في وضع قواعد وأسس يقينية للمعرفة، وذلك من خلال الاعتماد على مبدأ الشك في العالم الخارجي والموجودات المادية عندما وضع العالم الخارجي بين أقواس، لكنه يختلف مع ديكارت في الكوجيتو الديكارتي "أنا أفكر إذن أنا موجود". إذ أراد هوسرل أن يخلص الفكر من التجريد لأن الفكر دائماً يتجه نحو شيء ما، فيصبح الكوجيتو الديكارتي هنا "أنا أفكر في شيء إذن أنا موجود ."

وبالنسبة للأنا المتعالي وما تمتلكه من حقيقة كلية، أخذ هوسرل فكرة المونـاد من الفيلسوف لايبتنز، ولكنها مجردة من الميتافيزيقيا والإنسجام الإلهي. وهنا علينا أن نفرق بين الأنا المتعالي (الترانسندنتالي) عند كانط، وبين الأنا المتعالي عند هوسرل، فالأنا المتعالي عند كانط يطلق على ما هو قبلي وضروري لكل معرفة أو تجربة ممكنة. المعرفة التي تتعلق بالتصورات القبلية دون الأشياء الحسية، والتي تسمح بإمكانية التجربة، حيث يصبح العقل قانون الطبيعة رغم أنه كامن داخليا.

لكن الأنا المتعالي عند هوسرل يطلق على العمليات التي يقوم بها الأنا المتعالي، باعتباره بديهة يقينية، وذلك بعد الارتداد من عالم المحسوسات الخارجية إلى عالم الشعور الداخلي الخالص، دون أن يكون للعقل أي دور قيادي في الطبيعة.

القصدية والشعور القصدي

ترجع فكرة القصدية إلى الفلسفة المدرسية في العصور الوسطى، والقصد عندهم هو الفعل الذي يتجه فيه العقل نحو الموضوع ليدركه.

تعليق الحكم (الأيبوخية)

إذا كان الشعور مختلطاً دائماً بخبرات جزئية متغيرة ليست من طبيعته الماهوية، تأتيه من خلال الأنا النفسي الطبيعي، وإذا كان هوسرل يريد تجاوز هذه الجزيئات والارتداد إلى الشعور الحسي، لكي يعيد إدراك الماهيات الحقيقية لكافة الأشياء كما تظهر فيه بصورة حية.

12/ فينومينولوجيا ميرلوبونتي

إنّ العودة إلى العالم باعتباره حدثاً معرفياً ووجودياً في الآن نفسه، تشكل تحولاً كبيراً في مسار الفينومينولوجيا، فالعالم كما يستعمله مرلوبونتي ليس هو مفهوم العالم كما نجده لدى كانط، أي كوجود قبلي، وإنما يستعمله بمعنى الوجود الفعلي الواقعي، الذي يختلف كذلك عن مفهوم العالم لدى هوسرل، باعتباره ظاهرة أو مجموعة من الظواهر يطبق عليها منهج الرد الفينومينولوجي وبذلك فإنّ هوسرل يرجع العالم إلى خبرة الذات بإرجاعه للوعي، بمعنى أنّ معرفة العالم المعيش تستدعي إرجاعه للوعي. على العكس من ذلك فإنّ عالم مرلوبونتي هو العالم الواقعي حيث توجد الذات إلى جانب الآخرين، والآخر هنا ليس موضوعاً للمعرفة، وإنما باعتباره جسداً ووجوداً فعلياً متحققاً في العالم، كما أنه وجود مع الأشياء التي تحمل خصائص معينة أهمها أنّ لها وجوداً فعلياً، وهو ما يسمح بإقامة علاقة معرفية بين الشيء والجسد الذي يعتبر مصدراً للمعرفة.

الجسد كتعبير أصيل عن علاقته بالعالم

ميرلوبونتي عندما يتصور الجسد فإنه يحدث حقلاً متميزاً يمكن فيه لكل الإدراكات أن تحدث، بالمعنى العملي لميرلوبونتي الإدراكات تتجسد مرة متعالية ترانسندنتالية ومرة تجريبية (إمبريقية)، أي عندما تدرك شيء ما هي نفس الحالة التي يمكن أن تكون خبرة بالمقابل.

الجسد بما له من سلوكيات معينة، والأشياء الخارجية التي تستعمل جزء مهم منها كمركز للعالم، وكنتيجة لذلك نجد أنه يمكن أن نكرر هذا العالم أو نفهمه ونجد له معنى.

في فينومينولوجيا الإدراك عندما يتصور الجسد شيء ما، لا تحدث معه تجربة مباشرة أمامه، إنه يجمع المعاني، المعاني التي تجعل الشيء تابع لمجموعة الرموز الخالصة للجسد، عندما نتصور شيء ما إننا

لا نفكر فيه مباشرة ولا نقصد الشيء المتصور، نحن لا نمثل المفكر، ولكن يمكن القول: إننا ندور حول الشيء، نحن وفي نفس الوقت نحن مختلطين مع جسدنا.

وفي هذا المعنى يظهر جليًّا بأن الجسد بما هو بنية من الرموز، هذه البنية الرمزية التي تسمح باجتماع عدة مختلفات، في هذا المعنى بالتحديد التجربة الحساسة للشيء سوف تكون مختلفة من حيث استعمالات المعنى التي تدركه.

كل معنى لديه حقل مميز وخالص، يمكن أن نستعمله بطريقة معينة لمعرفة الأشياء، مع اختلاف التجارب الحساسة، وبمعاني معينة، تسمح بظهور المعاني والتحاور فيما بينها، ودلالة المعنى بالنسبة للمعاني الأخرى. وبالتالي الجسد يتقابل في مناطق حساسة مع الخطاب حسب كل معنى ويصبح متورطاً فيه، جسدي يدرك شيء معنى، إذن هو قادر على إدراك وإعطاء معنى لهذا الشيء أكثر تعبيراً من الجسد، أي إن معنى شيء معين يسكن في هذا الشيء كما تسكن الروح في الجسد.

إذن نحن نعرف أن التحليلات المتبعثرة للغة، وقد قال ميرلوبونتي: إن مشكل اللغة بشكل واضح هو مشكل خاص يخص الجميع وخاصة الفلسفة. ميرلوبونتي يعتبر اللغة كحجرة عثرة بالنسبة للفينومينولوجيا وهذا ليس سبب وجيه، إذا كان الوضع الفينومينولوجي يستوجب نزع الموقف الطبيعي وكل شيء موجود في ذاته، هل من أجل التفكير في الإجراءات القصدية التي تقصد الشيء، خارج هذا الإجراء للرد الفينومينولوجي، التي تعادل إيجابية وجود العالم، في الأخير هي لا تنكر وجود العالم، ولكن تسأل عن معنى وجود هذا العالم.

ولذلك سيكون من مصلحة ميرلوبونتي إذا فهم إذا كانت اللغة أصلية ويرد ذلك في العالم واللامفكر فيه الذي يدركه جسدي، ويقول: إذا كانت اللغة هو المكان الأصيل الذي يتبلور فيه المعنى في داخل الوعي.

وبهذا هل ما تعطيه لنا الرؤية هو نفس ما يعطيه لنا الجسد؟ هو سؤال طرح من طرف ميرلوبونتي عن اللغة، وينظر إذا كانت اللغة تشارك الإدراك، إذا كان نعم فكيف تولد هذه المشاركة؟

ودراستنا هذه تعتمد أساساً على الفصل السادس من كتاب «ظواهرية الإدراك» «الجسد كتعبير والكلام»، الذي ينتهي إلى أن «الجسد» في فينومينولوجيا الإدراك، هو الذي يجمع الظروف التي تسمح بتدفق الكلام أو الخطاب.